باراك أوباما والعدوان على غزة

: «بداية الرئيس أوباما ليست جيدة»، تلك كانت خلاصة ما قاله خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس معلقا على عدم تعليق الإدارة الأميركية الجديدة ورئيسها باراك أوباما على ما يجري في غزة. الرئيس المنتخب باراك أوباما الذي سيعود لممارسة نشاطه السياسي اليوم الخامس من يناير –وهو ذاته اليوم الذي يتوجه فيه الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي لمواصلة جهوده للوصول إلى وقف لإطلاق النار، وهو كذلك ذاته اليوم الذي يعود مجلس الأمن للاجتماع لمناقشة العدوان على غزة في ظل حضور عربي– ينتظره العالم ولاسيما الدول الشرق أوسطية بما في ذلك الدولة العبرية للسماع منه. الصمت الطويل من قبل أوباما وفريقه وإن بدا مبررا بسبب فترة الإجازة بمناسبة رأس السنة الميلادية، لا يبدو مقنعا، فالقناعة السائدة لدى دوائر سياسية في واشنطن وأخرى أوروبية هي أن الرئيس يريد أن يستمع إلى تقييم مستشاره لشؤون الأمن القومي جيمس جونز الذي سبق وعمل موفدا خاصا للأمن في الشرق الأوسط قبل أن يخرج بأي تصريحات.

المثير بالنسبة لشخصية جونز هو أن إسرائيل –وفق ما قالت صحيفة هآرتس في شهر نوفمبر 2008– قلقة من اختيار أوباما لجونز، لاسيما وأنه كان قد أعد تقريرا انتقد فيه إسرائيل وتجاوزاتها في الضفة الغربية، الأمر الذي أدى إلى منع إدارة بوش نشر التقرير. القلق الإسرائيلي يأتي أيضا من أن الرئيس سيركز في سياسته الشرق أوسطية على جونز وليس على هيلاري كلينتون، لاسيما وأن الرئيس تذكّر كيف حاولت هيلاري المزايدة على مواقفه خلال خطابها الانتخابي في موتمر إيباك في واشنطن. جونز كان قد اقترح أن يعطى الفلسطينيون سيطرة أمنية كاملة على أراضي السلطة وأن يتم نشر قوات للناتو لدعم تلك القوات وذلك لإضعاف الفرضية الإسرائيلية التي تشكك في إمكانات حفظ الأمن من قبل الفلسطينيين. إسرائيل لديها قلق من نشر قوات دولية في الضفة، لكن ليس واضحا حتى الآن ما موقفها من نشر قوات دولية على الحدود مع مصر، لاسيما وأن إسرائيل تريد الإبقاء على التنسيق الأمني لمكافحة ما تسميه بالإرهاب بينها وبين الدول العربية المجاورة.

إنّ صمت أوباما وإدارته الجديدة يمكن فهمه من خلال إدراك أمرين هامين:

الأول يتعلق بأن أوباما فاز على أساس أجندة داخلية: إصلاح الاقتصاد الأميركي والتغيير، وليس على أساس أجندة مرتبطة بالسياسة الخارجية بالأساس، فهو على غير ما قام به سلفه جورج بوش في فترته الانتخابية الثانية التي فاز فيها على أساس أجندة مرتبطة بالحرب على الإرهاب، تلك الحرب التي غدت إحدى أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأميركية.

في هذا السياق يجب التذكير أن الرئيس المنتخب حتى عندما قام بجولته في دول أوروبية وشرق أوسطية فإن هذه الجولة جاءت في إطار الحملة الانتخابية، لاسيما وأن منافسه جون ماكين اتهمه بانعدام الخبرة في السياسة الخارجية.

الثاني: أوباما وإدارته على ما يبدو يريدان التقدم برؤية يمكن من خلالها إقامة الحجة على تلك القوى التي تريد دورا للولايات المتحدة، لكنهما في ذات الوقت يريدان أن تدرك تلك القوى أن أولوياتها كإدارة هي داخلية ولها علاقة بتبعات الأزمة الاقتصادية. إدارة أوباما تبدو بحاجة لوقت لبلورة سياسة واضحة والخروج بصوت واحد للعالم، لاسيما أن هناك قلقا من تفاوت الرؤى بين الرئيس باراك أوباما ووزيرة الخارجية هيلاري كلينتون، وكذلك بين وزيرة الخارجية وبين مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي جيمس جونز.

في سياق متصل يبدو أن الرئيس ومن خلال تصريحات سابقة له يريد أن يلقي بعبء الوصول إلى حلٍ على أطراف الصراع، وبالتالي يريد من هذه الوساطة المساهمة في الحل وليس التدخل في كل التفاصيل.

الثالث: هناك عامل لا يبدو أنه حُسم من قبل الإدارة الجديدة وهو متعلق بالدور الأوروبي، فالأوروبيون منذ عام 2001 بدوا كأنهم مسلوبو الإرادة فيما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط، وفشلوا في الوصول إلى تسوية فيما يتعلق بالملف النووي الإيراني، كما سلموا بالموقف الأميركي الذي نادى بمحاصرة الفلسطينيين مع التركيز على محاصرة حماس في غزة والذي كانت إحدى نتائجه ما نشاهده في غزة هذه الأيام. الاتحاد الأوروبي تحول من لاعب إلى دافع للأموال، يبني بها وتدمرها آلة الحرب الإسرائيلية. من هنا فإنه حتى تصل الإدارة الجديدة إلى بلورة موقف من كل هذا فمن الصعب سماع موقف من الإدارة الجديدة.

إن ما يجري من انتظارٍ وترقبٍ لسماع موقف الرئيس المنتخب وإدارته إنما يريد منه الرأي العام الاطمئنان إلى أن أميركا قد تغيرت، وبالتالي يتعزز الإيمان بأن انتخاب أوباما كان حدثا هاما، أما إذا كانت التصريحات ترديدا لمواقف نمطية للإدارة الأميركية فإن خيبة الأمل ستكون كبيرة، لأن أميركا بذلك تثبت أن قطار التغيير الحقيقي قد فاتها.

mzweiri@aol.com •